المنار ١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كنار الطريق

٣٠ ذي الحجة ١٣٣٦ — ١٢ الميزان ( خ ١ ) ١٢٩٧ هـ ش ١٦ اكتوبر ١٩١٨

# رد المنار

على الناقد لذكرى المولد النبوي (*)

## ﴿ الموضع الثامن — أولاد عبد المطلب ﴾

أنكر الناقد ذكرنا في ( ص ١٣ ) بعض أولاد عبد المطلب دون بعض وقال ان المقام يقتضي استيعابهم لان الاقتصار في محل البيان يوهم الحصر . ونجيب عن ذلك بأن المقام لا يقتضي استيعاب ذكرهم لان الكتاب ليس في تاريخ بني هاشم وانما هو خلاصة سيرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ودعوته وكليات دينه ومزايا ملته، وذكرنا من أولاد عبد المطلب والده (ص) وأعمامه الذين لهم شأن عظيم في سيرته وهم أبو طالب والعباس وحمزة ( رض ) ولكن العبارة قد توهم غير المطلع على تاريخهم ان هؤلاء جميع ولد عبد المطلب ولذلك نقحنا العبارة في نسختنا الخاصة التي يعتمد عليها في الطبعة الثانية هكذا « وولد لعبد المطلب أولاد كثيرون أشهرهم أبو طالب والعباس وحمزة

(*) تابع لما في ج ٩ ويراجع النقد المردود عليه هنا في ص ٣٤٩ ج ٨

وعبد الله » . وما الحاجة الى ذكر كبراء المشركين الضالين بعد سكوتنا عن ذكر أشهرهم أبي لهب؟

﴿ الموضع التاسع — ما لقي (ص) من جحود قومه وإيذائهم ﴾

أنكر الناقد علينا اسناد الجحود والايذاء الى قوم الرسول (ص) واقترح ان يصحح بقوله: فلقي أشد الجحود والايذاء من زعماء قومه الذين أشقاهم الله. واحتج على ذلك بما قدمه من قيام كثير من قومه بمساعدته واجابة دعوته (ص) ونجيب عن هذا بما أجبنا به عن ذاك الذي قدمه وأهمه أننا اهتدينا في هذا التعبير بالقرآن المجيد فقد قال تعالى (وكذب به قومك وهو الحق) ولم يقل زعماء قومك. ولهذا الاستعمال نظائر فيه وفي كلام العرب، ولا يعقل ان يشترط في لغة ما أن لا يسند الى القوم الا ما يفعله كل فرد من أفرادهم اذ لا يمكن العلم بهذا الا في قوم محصورين عملوا عملا شاهده منهم من أخبر عنهم وذلك نادر، وانما المعروف انه يسند الى القوم ما يفعله الجمهور وان أنكره من لا يؤثر انكاره لضعفهم أو قلتهم، وكذا ما يفعله البعض ولم ينكره الجمهور كقتل اليهود الانبياء وعقر ثمود للناقة. وتفصيل الرد على هذه المسألة يعلم مما يأتي في الكلام على الموضع العاشر والموضع الحادي عشر

﴿ الموضع العاشر — حمايته (ص) للقيام بالدعوة ﴾

أنكر الناقد علينا قولنا في (ص ٣١) أنه (ص) كان يدعو الناس لحمايته للقيام بهذا الامر فلم يحمه من قريش أحد؛ واقترح أن تصحح العبارة أو تنقح بقوله: كان يدعو الناس الى أن يعضدوا من يحمونه للقيام بهذا الامر فحال زعماء الشرك دون ذلك الخ وهذا وما قبله من تلك العصبية، وغرضه ان ينزه قريشا مما ذكر و يسنده الى زعماء الشرك على الابهام، والجواب عنه يعلم مما تقدم بالاجمال، وأما التفصيل فهو في كتب الحديث والسيرة النبوية أيها راجع القارئ يجد فيه ان قريشا اشتد ايذائها للرسول (ص) بعد هلاك عمه أبي طالب وانه خرج الى الطائف يلتمس النصرة من ثقيف والمنعة بهم من قومه — وهذه عبارة ابن هشام عن ابن اسحق — وانه كان يعرض نفسه على القبائل فيردونه حتى أجابه وفود الانصار (رض) وفي حديث عمرو بن مسلمة عند البخاري ان العرب كانت تقول دعوه وقومه فان ظهر عليهم

فهو نبي صادق. ولو كان فيمن آمن من قومه قوة ومنعة لما احتاج الى ذلك، بل كان كان يدعو القبائل الى الاسلام فقط . وهذا أمر مشهور متفق عليه ولم نر قبل هذا النقد الغريب أحدا بلغت منه العصبية لقريش حتى في شر ما كانت عليه في جاهليتها هذا المبلغ ، وسنزيد هذا بيانا في الرد على الموضع الآتي =

﴿ الموضع الحادي عشر — ثباته ( ص ) في أحد ومن ثبت معه ﴾

قلنا في الكلام على شجاعته وثباته عليه الصلاة والسلام من ( ص ٣٧ ) انه ثبت وحده يوم أحد. فأنكر الناقد علينا ذلك وقال انه « يذكر انه ثبت معه بضعة نفر من قريش وبني هاشم ( قال ) وكذا في حنين وهذه منقبة لهم يحسن ذكرها أشعارا بمزايا الاصطفاء التي ذكرتموها اه

والجواب ان الاحاديث الصحيحة تثبت انه (ص) انفرد بالثبات في الغزوتين بالذات وثبت معه أفراد بالتبع ، فالاولى ان يعطف يوم أحد على يوم حنين أو يكتفي بالثاني فانه ثابت في الصحيح بلفظه فلا غرو ان يذكر في مثل هذا السياق ، وان قيدوه بما سيأتي للجمع بين الروايات ، ففي بعض ألفاظ حديث أنس من صحيح البخاري انه « لما كان يوم حنين أقبلت هوازن وغطفان وغيرهم بنعمهم وذراريهم ومع النبي (ص) عشرة آلاف من الطلقاء ( هم الذين أسلموا في مكة يوم الفتح ) فأدبروا عنه حتى ( بقي وحده ) فنادى يومئذ نداءين لم يخلط بينهما: التفت عن يمينه فقال: يا معشر الانصار؟ قالوا لبيك يا رسول الله نحن معك ، ثم التفت عن يساره فقال: يا معشر الانصار : قالوا لبيك يارسول الله نحن معك» الحديث . ويؤيده حديث البراء في الصحيحين وهو انه سئل : أوليتم مع النبي (ص) يوم حنين؟ فقال أما النبي ( ص ) فلا — الحديث — وفي رواية : أفررتم عن رسول الله ( ص ) يوم حنين فقال : لكن رسول الله (ص) لم يفر ... وفي رواية انه سئل : أتوليت يوم حنين ؟ قال: أما أنا فأشهد على النبي (ص) انه لم يول ولكن عجل سرعان القوم فرشقتهم هوازن وأبو سفيان ابن الحارث آخذ برأس بغلته البيضاء » الحديث . وأبو سفيان هذا هو ابن عمه ( ص ) الحارث بن عبد المطلب وكان خرج الى النبي ( ص ) وهو قادم الى مكة فاتحا فأسلم وحسن اسلامه . وروى ابن أبي شيبة من مرسل الحكم

ابن عتيبة أنه لما فر الناس يوم حنين لم يبق معه (ص) الا أربعة نفر ثلاثة من بني هاشم ورجل من غيرهم: علي والعباس بين يديه وأبوسفيان بن الحارث آخذ بالعنان وابن مسعود من الجانب الايسر قال وليس يقبل نحوه أحد الا قتل . واختلفت الروايات فيمن ثبتوا معه على أقوال: ٩ أو ١٠ أو ١٢ أو ٨٠ أو دون ١٠٠ أو ١٠٠ بضعة وثلاثون من المهاجرين والباقون من الانصار وهذا الاخير تفصيل رواية أبي نعيم في دلائل النبوة و يروى عن العباس (رض) الله عنه انه أنشد في ذلك

نصرنا رسول الله في الحرب تسعة وقد فرّ من قد فرّ عنه فأقشعوا

وعاشرنا وافى الحمام بنفسه لما مسه في الله لا يتوجع

قال الحافظ في الفتح ولعل هذا هو الثبت ومن زاد على ذلك يكون عجل في الرجوع فعد فيمن لم ينهزم وكان أول من ولى وانهزم الطلقاء من قريش الذين دخلوا الاسلام يوم الفتح وما كلهم بصادق . وقال العلماء ما كل من ولى يومئذ كان فارا من القتال بل منهم من كان متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة أوفئة لاجل القتال، و بعضهم جرفه التيار وهو لا يدري أين ذهب ، وقالوا في الجمع بين رواية ثباته وحده ورواية ثبات القليل معه ان هؤلاء كانوا في خدمته وكان هو المهاجم وحده وهم يتبعونه من وراثه حيث توجه فتوجه الى قتال المشركين ولما رأى ما رأى من اختلاط الحابل بالنابل نادى الانصار فلبوه فكان النصر بهم وان كان فضل المهاجرين وثباتهم لا ينكر ، وكانت مزية بني هاشم ان اكثر العشرة أو الاثنى عشر الذين ثبتوا معه أولا منهم . وكان منهم أبو بكر وعمر وابن مسعود وعثمان بن طلحة ومال بث جمهور الصادقين أن تبينوا الامر فصاروا يتراجعون

وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما ان النبي (ص) لما حاز الغنائم العظيمة في هذه الغزوة قسمها في قريش بين المهاجرين الذين أسلموا قبل الفتح والطلقاء الذين أسلموا يوم الفتح ولم يعط الانصار شيئا فوجد بعضهم لذلك فقال بعضهم اذا كانت شديدة فنحن ندعى و يعطى الغنيمة غيرنا . وقال بعضهم يغفر الله لرسول الله (ص) يعطي قريشا و يتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم. فجمعهم (ص) في قبة أدم (جلد) وسألهم عما بلغه عنهم فسكت بعضهم وقال فقهاؤهم : أما رؤساؤنا يا رسول الله فلم

يقولوا شيئا وأما ناس منا حديثة أسنانهم فقالوا كيت وكيت. فقال (ص) « اني أعطي رجالا حديثي عهد بكفر أتألفهم — وفي رواية ان قريشا حديث عهد [1] بجاهلية ومصيبة واني أردت أن أجبرهم وأتألفهم — أما ترضون أن يرجع الناس بالدنيا وترجعون برسول الله (ص) الى بيوتكم ؟ قالوا بلى . وفي رواية انه خطبهم فذكرهم فضل الله به عليهم بالهداية والتأليف بينهم والغنى ثم قال « ألا ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير وتذهبون بالنبي (ص) الى رحالكم ؟ لولا الهجرة لكنت امرأ من الانصار ولو سلك الناس واديا وشعبا وسلكت الانصار شعبا لاخترت وادي الانصار وشعبها، الانصار شعار والناس دثار» الخ وقد بين العلامة ابن القيم الحكم في غزوة حنين في الهزيمة ثم في النصر وقسمة الغنائم ومنها انه (ص) لم يعط كبار المهاجرين من الغنيمة كالانصار ، فيراجع في زاد المعاد ولخصه الحافظ في الفتح

وأما ثباته وحده (ص) يوم أحد فهو ظاهر قوله تعالى ( اذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم ) فقد اتفقوا على انه نزل في هزيمتهم يومئذ قال الحسن البصري: فروا منهزمين في شعب شديد لا يلوون على أحد والرسول يدعوهم في أخراهم « الي عباد الله الي عباد الله» ولا يلوي عليه أحد. وروي نحوه عن ابن عباس وعطية الصوفي وقتادة الا الجملة الاخيرة فقد انفرد بها الحسن . وقد اختلفت الروايات فيمن ثبت معه (ص) وظاهر بعض الروايات الصحيحة أن الناس تولوا فلم يبق مع النبي (ص) غير أبي طلحة زيد بن سهل الانصاري يناضل عنه فكان ثباته معه لاجله فيصح ان يقال انه (ص) ثبت وحده يومئذ لان ثباته كان بشجاعته الذاتية وثبات أبي طلحة لانه رآه ثابتا فوجب عليه ان يناضل عنه بسهامه ولما رآه غيره فعلوا مثل فعله، فقد كان سبب الهزيمة الاكبر اشاعة قتل النبي (ص) ولم يلبث أن تراجع الناس اليه لما علموا ببقائه فداه أبي وأمي (ص) فالسابقون الى ذلك عدوا من الثابتين معه واختلف في عددهم لان كل راو ذكر من رآه أو علم بوجوده معه فلا تنافي بين رواياتهم، ففي حديث أنس عند البخاري: لما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبي (ص) وأبو طلحة بين يدي النبي (ص) مجوب (أي مترس) عليه بمجحفة له وكان أبو طلحة

(١) كذا في النسخ الصحيحة واعتمد بعضهم ان أصله حديثو عهد

رجلا راميا شديد النزع (أي رمي السهم) كسر يومئذ قوسين أو ثلاثا وكان الرجل يمر معه بجعبة من النبل فيقول «انثرها لابي طلحة» (قال) ويشرف النبي (ص) ينظر الى القوم فيقول أبو طلحة بأبي أنت وأمي لا تشرف يصبك سهم من سهام القوم نحري دون نحرك، ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكر وأم سليم (هي أم أنس) وانهما المشمرتان أرى خدم سوقهما [1] تنقزان القرب على متونهما تفرغانه في أفواه القوم [2] ثم ترجعان فتملآنها ثم تجيئان فتفرغانه في أفواه القوم ولقد وقع السيف من يد أبي طلحة اما مرتين واما ثلاثا

وفي حديثه عند مسلم انه (ص) أفرد في سبعة من الانصار ورجلين من قريش يعني طلحة وسعدا. وفي حديث عائشة عند أبي داود الطيالسي قالت كان أبو بكر اذا ذكر يوم أحد قال: كان ذلك اليوم كله لطلحة قال كنت أول من فاء (أي رجع) فرأيت رجلا يقاتل عن رسول الله (ص) قال فقلت كن طلحة (قلت) حيث فاتني يكون رجل من قومي ويغني وبينه رجل من المشركين فاذا هو أبو عبيدة فانتهينا الى رسول الله (ص) فقال «دونكما صاحبكما» يريد طلحة فاذا هو قد قطعت أصبعه الخ. وفي الصحيح التنويه بسعد بن أبي وقاص فانه كان يناضل عنه (ص) وهو يقول له «أرم فداك أبي وأمي» روى البخاري هذا عنه، وروى عن علي كرم الله وجهه قال: ما سمعت رسول الله (ص) يجمع أبويه لاحد غير سعد. يعني في الفداء. وروى عن أبي عثمان النهدي انه لم يبق مع النبي (ص) في بعض تلك الايام التي يقاتل فيهن غير طلحة وسعد. أي طلحة بن عبيد الله وسعد بن أبي وقاص وهما حدثا أبا عثمان النهدي بذلك، وروى الحاكم عن عائشة بنت سعد بن أبي وقاص عن أبيها قال: لما جال الناس يوم أحد تلك الجولة تنحيت فقلت اذود عن نفسي فاما أن أنجو واما ان أستشهد فاذا رجل محمر وجهه وقد كاد المشركون ان يركبوه فملأ يده من الحصى فرماهم.. واذا بيني وبينه المقداد فأردت أن أسأله عن الرجل فقال لي ياسعد هذا رسول الله (ص) يدعوك فقمت وكأنه لم يصبني شيء من الاذى وأجلسني أمامه وجعلت أرمي فذكر الحديث اه من الفتح وفيه اختصار وقد نقله دحلان في سيرته عن المستدرك بزيادة واختلاف في بعض الجمل ومن الزيادة

(١) الخدم جمع خدمة وهي الخلاخيل وقيل الخدمة أصل الساق. والسوق جمع ساق
(٢) أي ترفعان قرب الماء بخفة وسرعة على ظهورهما وتسقيان الجرحى بصبه في أفواههم

أن الرجل المحمر لما رمى المشركين بالحصى تراجعوا عنه الى الجبل ففعل ذلك مرارا. فظاهر هذا الحديث انه لما جاء سعد لم يكن عنده غير المقداد وما يدرينا ان المقداد لم يكن معه من أول الامر.

قال الحافظ في شرح حديث أبي عثمان النهدي من الفتح: وعند ابن هائذ من مرسل المطلب بن عبد الله بن حنطب ان الصحابة تفرقوا عن رسول الله (ص) حتى بقي معه اثنا عشر رجلا من الانصار. والنسائي والبيهقي في الدلائل من طريق عمارة ابن غزية عن أبي الزبير عن جابر قال تفرق الناس عن النبي (ص) يوم أحد وبقي معه احد عشر رجلا من الانصار وطلحة[1] واسناده جيد وهو كحديث أنس الا أن فيه زيادة أربعة فلعلهم جاؤا بعد ذلك، وعن محمد بن سعد انه ثبت معه ١٤ رجلا ٧ من المهاجرين منهم أبو بكر و٧ من الانصار. ويجمع بينه وبين حديث الباب (أي حديث أبي عثمان النهدي) بأن سعدا جاءهم بعد ذلك كما في حديثه الذي قدمته في الحديث الخامس (أي حديث أرم فداك أبي وأمي) وان المذكور من الانصار استشهدوا كلهم فلم يبق غير طلحة وسعد ثم جاء بعدهم من جاء. وأما المقداد فيحتمل ان يكون استمر مشتغلا بالقتال، وسيأتي بيان ما جرى لطلحة بعد هذا. وذكر الواقدي في المغازي انه ثبت يوم أحد من المهاجرين سبعة أبو بكر وعلي وعبد الرحمن بن عوف وسعد وطلحة والزبير وأبو عبيدة، ومن الانصار أبو دجانة والحباب بن المنذر وعاصم بن ثابت والحارث بن الصمة وسهل ابن حنيف وسعد بن معاذ وأسيد بن حضير، وقيل ان سعد بن عبادة ومحمد بن مسلمة بدل الاخيرين، فان ثبت حمل على انهم ثبتوا في الجملة، وما تقدم فيمن حضر عنده (ص) أولا فأولا والله أعلم اه كلام الحافظ في الجمع بين الاقوال ..

فعلم مما تقدم ان منقبة الثبات مع النبي (ص) يوم احد خاصة بمن علموا بموقفه ودافعوا عنه قبل ان يتراجع الجيش وانها لم تكن للمهاجرين وحدهم بل كان للانصار

---

«١» هو ابن عبيد الله وملخص تتمة الحديث أن النبي «ص» قال لما لحقهم المشركون وهو بصعد في الجبل «ألا أحد لهؤلاء؟ فقال طلحة أنا يا رسول الله، فقال «كما أنت يا طلحه» فاستأذنه رجل من الانصار فأذن له فقاتل حتى قتل. فاعاد «ص» القول فناداه طلحة فقال له كما قال أولا فاستأذن أنصاري آخر فأذن له، وما زال يعيد ذلك ويحبس طلحة حتى لم يبق معه غيره فقاتل مثل قتال جميع من كان قبله وأصيبت أنامله. وفي رواية شلت أصبعه أو أصبعاه وأنه جرح بضعة وثلاثين جرحا

الحظ العظيم منها، وانه لم يكن مع المهاجرين أحد من بني هاشم غير علي كرم الله وجهه ورضي عنهم أجمعين

﴿ الموضع ال ١٢ — مدة اقامته (ص) بمكة بعد التبليغ ﴾

قال الناقد: ذكرتم في الخاتمة انه صلى الله عليه وآله وسلم أقام بمكة بعد بدء التبليغ عشر سنين والمشهور أنها بضع عشرة سنة اه

ونقول ان هذه العبارة أظهر هفواته وأغربها فما ذكرناه هو المنصوص في كتب الحديث والسير، وما ذكره وادعى أنه المشهور لم يقل به أحد. وانما وقع الخلاف في الروايات الواردة في مدة اقامته بعد البعثة لا بعد التبليغ بين عشر وثلاث عشرة وجمع بينهما المحققون بأن المدة بين بدء الوحي وفترته وبين الامر بالتبليغ ثلاث سنين والمدة من بدء الامر بالتبليغ الى وقت الهجرة عشر سنين، بين ذلك الامام احمد في تاريخه وغيره من المحدثين واعتمده ابن اسحق وغيره من أصحاب السير. فهل بلغ من الناقد الفاضل التعصب لمكة كاهلها أن حفظ المدة من ابتداء الوحي بالرؤيا الصادقة الى وقت الهجرة حفظا إجماليا ثم نسي تحديدها وصفتها فجعلها بضعة عشر عاما من أول التبليغ، وعلى هذا يحتمل ان تكون سبع عشرة سنة أو تسع عشرة سنة وان تضاف اليها مدة الفترة فتكون ٢٢ سنة!! ومن المشهور الذي يحفظه العوام وصبيان المكاتب في مدارس الناقد الفاضل كغيرها ان النبي (ص) بعث على رأس الاربعين وتوفي في ربيع الاول من السنة الحادية عشرة للهجرة عن ٦٣ سنة، فسبحان من لا ينسى ولا يذهل

وقد أضاف الناقد الى هذا الموضع مسألة أخرى فادعى اننا لم نذكر في الكتاب دخول الاسلام في عهد القوة والمنعة بعد فتح مكة بدخول قريش فيه واتباع العرب لهم، ورجا ان نذكر ذلك في المستقبل لانه مظهر مزايا الاصطفاء. ونجيب بأننا ذكرناه بالاجمال، ولا يتسع هذا المختصر للتفصيل

ونحب أن نصرح لاخينا الناقد الفاضل بأن كتاب ذكرى المولد النبوي لم يوضع لشرح حديث الاصطفاء ومناقب قريش وبني هاشم فنذكر فيه كل ما يتعلق بذلك من تاريخهم في الجاهلية والاسلام وانما شرحنا الحديث شرحا لم نطلع لاحد على مثله لبيان حكمة بعثة النبي (ص) في خير بيت من بيوت الامة العربية « للرد بقية »